الاختبار الأول في مقياس الأدب المقارن

1- تعد قضية تأثر الكوميديا الالهية برسالة الغفران واحدة من أبرز قضايا الأدب المقارن العربي، إن لم تكن أبرزها على الإطلاق. صف القضية مبرزا الرأي القائل بمسألة التأثر وكذا الرأي النافي لها بعد تقديمك لعرض موجز للعملين.

-كتاب أو رسالة الغفران قد أملاها أبو العلاء في المعرّة حوالي سنة 424هـ، وهي تأخذ صورة رسالة إخوانيّة من الرّسائل الطّوال التّي تجري مجرى الكتب المصنّفة، لكنّها تُستهلّ بمقدّمة غير مألوفة، يستطرد فيها أبو العلاء في رحلة خياليّة في العالم الآخر، ويقود إليها ابن القارح، ويوجّه فيها خُطاه بين الجنّة والجحيم، ويلقّنه ما يقول ويفعل. والكتاب يقع في ثلاثمئة صفحة. وقد كتبها أبو العلاء، يردّ بها على رسالة صديقه بن القارح الحلبيّ.وفي الرّسالة طرائف أدبيّة، ومقاييس أدبيّة ونقديّة، ولغويّة، وفنيّة، تدلّ على عمق الكاتب، وسعة ثقافته وخياله.

والرّسالة من أهمّ أثار أبي العلاء وأغناها، وقد رأى فيها القدماء دليلاً على تمكّن أبي العلاء من الأدب واطّلاعه حتّى أولئك الذّين تحاملوا على أبي العلاء، ورموه بسوء المعتقد ورأوا فيها صورة من مزدكة، لم يكتموا إعجابهم بما تومئ إليه من مقدرة أبي العلاء الأدبيّة.

الكوميديا الإلهيّة الرّائعة الخالدة لمبدعها الإيطالي دانتي اليغييري، من روائع الأدب المسيحي في القرون الوسطى. "وكان دانته قد سمّاها الكوميديا، ويبدو أنّ دانتي أسماها الكوميديا بمعنى السّخرية، وهي السّخرية من سخافة النّظرة التّعصبيّة المغلقة التّي كانت تسود عقائد العصور الوسطى (11).

وتتكوّن هذه الملحمة الدّينيّة كما يسمّيها البعض من ثلاثة أجزاء (12): الجحيم، والمطهر، والجنّة الأرضيّة والسّماويّة.

اختلفت الآراء وتضاربت المزاعم كلّ التّضارب في ما يخصّ الأصول المشرقيّة والإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة، وعلاقتها برسالة الغفران للمعرّي فمن قائلٍ إنّ المعرّي كان معلّماً لنابغة إيطاليا في الشّعر والخيال، وقائلٍ إنّ دانتي لم يكن مبدعاً بل مقلّداً سارقاً موضوعه من المعرّي المبتكر الحقيقيّ، ومتخلّفاً عنه في السّموّ البيانيّ، وقد اكتفى بعضهم بالقول أنّ دانتي اقتبس من المعرّي فكرة الانتقال إلى العالم الآخر فقط، في حين نذر البعض أقلامهم في هذا الصّدد للتّأكيد على أنّ الكوميديا الإلهيّة متأثّرة بما لا يدع مجالاً للشكّ بالتّراث الإسلاميّ في كثيرٍ من مصادره، وأنّ الأمر لم يعد مقصوراً على تشابهات أو اختلافات بين الأثرين.

ومن فضول القول أن نذكر أنّ الحكم في هذا الأمر وتبيّن حقائقه وأبعاده يدفعنا إلى أن نستعرض آراء الباحثين الذّين تفتّقت أذهانهم وثقافاتهم ودراستهم ومطالعتهم عن القول إنّ الكوميديا الإلهيّة فيها آثار شرقيّة إسلاميّة، مروراً بآراء أولئك المفنّدين لهذا القول، وصولاً إلى بناء رأيٍ خاصٍّ، نركن إليه ونتبنّاه في هذه المسألة، ونستجلي الأمور والوقائع في ضوئه.(ورد في المحاضرة العديد من الآراء والمطلوب استعراض رأيين أو ثلاثة في القضية)

.

2- يقترب توجه المدرسة الفرنسية إلى تاريخ الأدب بينما تميل المدرسة الأمريكية إلى النقد الأدبي، كيف ذلك؟ وهل يشكل الأمر خطرا على الأدب المقارن؟

يعد المنهج التاريخي من أهم مرتكزات المدرسة الفرنسية، ولهذا اعتبرت الصلة التاريخية شرطا ضروريا في تحديد المواضيع التي تصلح للمقارنة، فكل أدب يربطه اتصال تاريخي بأدب آخر هو من الأدب المقارن وما خالف ذلك لا يصلح للمقارنة، وبذلك يكون الأدب المقارن فرعا من فروع تاريخ الأدب، ذلك أن انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية،

بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية، وهذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدال؛ أي أن يبين مصدر التأثر، وواسطته ونتائجه. أما المدرسة الأمريكية فقد اهتمت بدراسة العلاقات بين النصوص المختلفة على مستوى بناها الداخلية، وهذا ما جعلها تُعنى كثيرا بأدبية الأدب، أي تلك السمات التي تجعل من الأدب أدبا، وتساعد على فهم جوهره، وبذلك تكون هذه المدرسة قد أحلت العلاقات ذات القيم الداخلية محل العلاقات السببية الخارجية التي تُبعدنا أكثر فأكثر عن هذا الجوهر، ولهذا رفض ريينيه ويليك المنهج الفرنسي التقليدي، وسعى إلى التأسيس لمنهج قادر على التعامل مع أدبية الأدب.

الأمر قد لا يسلم من المخاطرة، فطرح كهذا يذيب الأدب المقارن في النقد الأدبي، ويفقده خصوصيته كمنهج، ونحن لا ننكر ما عرضه ويليك، لكننا لا نوافقه على المبالغة، فصلة الأدب المقارن بالنقد الأدبي موجودة فعلا؛ وكل واحد منهما قادر على إثراء الآخر تنظيرا وتطبيقا، لكن القول بأنهما يمثلان طرفا واحدا أمر غير مقبول؛ لأنه يقصي تلك الفروق الجوهرية التي تميز الواحد منهما عن الآخر فالتداخل شيء، والتطابق شيء آخر، وبفضل هذا التداخل يتمكن الأدب المقارن من دراسة الآداب المختلفة في علاقاتها الممكنة، وفق رؤية مقارنة متميزة تجمع بين النقدي، والتاريخي، والأدبي. فلكي تحقق الدراسة الأدبية المقارنة العمق والشمول في رصدها للعلاقات الأدبية التي تتبادلها النصوص لابد من مراعاة البنيتين الداخلية، والخارجية للنصوص؛ فالنص الأدبي له شؤون داخلية، وأخرى خارجية، أما الشؤون الداخلية فلها علاقة ببنيته الداخلية، وصوره، وتركيباته ودلالته، ومضمونه، وشخصياته ... أما الخارجية فتتمثل في اتصاله بالآداب الأخرى، وتماسه، وعناصر ومؤثرات تنتمي إلى الآخر، إنها طبيعة ملازمة للأدب؛ لأنه نتاج إنساني فاعل ومتفاعل مع الآداب الأخرى، يتلاقح مع التيارات الأدبية والفكرية والفنية، يؤثر فيها ويتأثر بها بتوظيف الدليل الخارجي لتأكيد مصداقية الدليل الداخلي، أما إذا حدث العكس، فإن الأمر قد لا يسلم من ممارسة نوع من الضغط على النص بتحميله ما لا يحتمل من أجل إثبات صلة ما قد تكون غير موجودة أصلا، لذا من الضروري التعامل مع النص بمستوى أرقى؛ أي أن يفسح له المجال لكي يفرض وجوده، ويشير إلى علاقاته الممكنة بالنصوص الأخرى، حسب ما تقتضيه مستوياته المتنوعة.

أستاذ المقياس :علي حموين